مجموعة من الخُدَّام والخادمات بالقاهرة
المحاضرة بدير القدِّيس أنبا مقار
الجُمعة ٢٦ يوليو سنة ٢٠١٩م

توضيحٌ لموضوع صعود المسيح له المجد

كنتُ قد تكلَّمتُ عن صعود المسيح في عدَّة محاضرات سابقة. أمَّا آخر محاضرتَين في هذا الموضوع؛ فكانت الأولى منهما في يونية سنة ٢٠١٦م بعنوان: "عيد الصُّعود إيمانيًّا وليتورجيًّا"، وكانت المحاضرة الثَّانية في يونية سنة ٢٠١٧م بعنوان "حتميَّة الرِّباط الوثيق بين قيامة المسيح وصعوده وجلوسه عن يمين الآب لكي يمنح الرُّوح القُدُس للكنيسة".

ثمَّ علمتُ فيما بعد، أنَّ البعض قد فهم كلامي على أنني تكلَّمتُ عن صعودَين للمسيح وليس صعوداً واحداً، وذلك حين ذكرتُ أنَّ المسيح صعد إلى السَّماء في يوم قيامته، بينما نقرأ في الأناجيل وسفر أعمال الرُّسُل عن أنَّ صعوده كان بعد أربعين يوماً من قيامته المقدَّسة. فهل يعني هذا أنَّ المسيح له المجد قد صعد إلى السَّماء مرَّتين؛ مرَّة بعد قيامته مباشرة، والأُخرى بعد أربعين يوماً كما تذكر الأناجيل وسفر أعمال الرُّسُل؟ أم أنه صعود واحد؟ وسوف أشرح مرَّة أُخرى ما أبغي توضيحه، ولكن في نقاط متتابعة تخدم الهدف الذي أصبو إليه.

(١) هل فعلاً صعد المسيح إلى السَّماء في نفس يوم قيامته؟
(٢) ما هي العلاقة بين صعوده في يوم قيامته وصعوده بعد أربعين يوماً من القيامة كما تذكر الأناجيل وسفر أعمال الرُّسُل؟
(٣) ما هو المضمون الإيماني والخلاصي الذي نجنيه من صعود المسيح إلى السَّماء؟

(١) هل فعلاً صعد المسيح إلى السَّماء في نفس يوم قيامته؟

تعالوا أوَّلاً إلى الكتاب المقدَّس لنستوضح الأمر بأكثر جلاء. فالسيِّد المسيح بعد قيامته مباشرة يتقابل مع مريم المجدليَّة، ويقول لها: «**لم أصعد بعد** إلى أبي، ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم **إني أصعد** إلى أبي وأبيكم ... إلخ» (يوحنَّا ٢٠:١٧). فيتَّضح من الكلام هنا، أنه حتى لقائه الأوَّل بالمجدليَّة لم يكن قد صعد بعد، ثمَّ يقول لها مباشرة: «إني أصعد».

وتعبير «إني أصعد» جاء في اليونانيَّة Ἀναβαίνω وهو هنا في زمن المضارع. وجاء في القبطيَّة **ϯⲛⲁϣⲉⲛⲏⲓ ⲉ̀ⲡ̀ϣⲱⲓ** أي: «إني صاعد»[1] وهو هنا في زمن المستقبل الذي يبدأ الآن[2]. إذاً فهذا التَّعبير في اليونانيَّة والقبطيَّة والعربيَّة والإنجليزيَّة،

١– انظر مثلاً: كتاب العهد الجديد قبطي عربي، دار الكتاب المقدَّس، القاهرة، ٢٠١٧م.

٢– الأداة **ⲛⲁ** في اللُّغة القبطيَّة تدخل على الفعل في زمن المستقبل. وينقسم زمن المستقبل في اللُّغة القبطيَّة إلى: المستقبل الأوَّل، المستقبل الثَّاني، المستقبل اليقيني (أو الثَّالث)، المستقبل اللاَّمحدود، المستقبل النَّاقص. والأداة **ⲛⲁ** الواردة في الكلمة **ϯⲛⲁϣⲉⲛⲏⲓ ⲉ̀ⲡ̀ϣⲱⲓ** تأتي هنا في زمن المستقبل الأوَّل، وهي مشتقَّة من الفعل **ⲛⲟϯ** أي: "أزمع أن، أوشك أن" ولذلك يعبِّر المستقبل الأوَّل عن حدث سيبدأ قريباً ويستمر.

كما أنَّ الأداة **ⲛⲁ** في اللُّغة القبطيَّة لها ثلاثة معان؛ (١) أداة الملكيَّة للجمع مثل **ⲛⲁⲓⲟϯ** "آبائي" (٢) علامة تصريف الفعل في المستقبل مثل **ϯⲛⲁϫⲟⲥ** "سأقول" وهي هنا في المستقبل الأوَّل، بحسب الشَّرح السَّابق مباشرة (٣) علامة تصريف الفعل من الماضي المستمر على ألاَّ تكون الأداة **ⲛⲁ** داخل الكلمة بل في بدايتها مثل **ⲛⲁⲓⲥⲁϫⲓ** "كنتُ أتكلم".

انظر: معوض داود عبد النُّور، قاموس اللُّغة القبطيَّة للهجتين البحيريَّة والصعيدية قبطي – عربي، الطَّبعة الثَّانية، إبريل ٢٠٠٠م، ص ١٩٠

وجدير بالذِّكر أنَّ جميع ترجمات الكتاب المقدَّس العربيَّة أو الإنجليزيَّة، تذكر كلها كلمة "أصعد" I ascend أو "صاعد" I am ascending باستثناء التَّرجمة العربيَّة البسيطة وترجمة كتاب الحياة، اللَّتين تذكران "سأصعد" وهما ترجمتان تفسيريَّتان لا تلتزمان بالنَّص الأصلي. وهناك ترجمة إنجليزيَّة واحدة وهي Good news bible تذكر I am returning أي "عائد".

ولا ينبغي أن نُغفل أنَّ الأصل الذي يلزم الالتجاء إليه دائماً هو اللُّغة اليونانيَّة قبل أيَّة لُغة أُخرى.

يأتي في زمن المضارع أو المستقبل القريب جدًّا. أي أنَّ الرَّب لم يقُل للمجدليَّة ''إني سأصعد''. فالرَّب يتكلَّم عن صعود آني أي يكون الآن. إذاً فمعنى قول الرَّب ''لم أصعد بعد لكني أصعد''، أو ''لم أصعد بعد لكني صاعد'' يعني: ''لم أصعد بعد (حتى هذه اللَّحظة)، ولكني أصعد أو صاعد (الآن)''.

نقطة أُخرى هي: لماذا طلب الرَّب منها أن تخبر تلاميذه بصعوده، برغم أنَّ الأمر الطَّبيعي هو أن يقول لها بأن تخبرهم بقيامته التي لم يكونوا بعد قد تيقَّنوا منها، ولاسيَّما أنه سوف يقابلهم في نفس مساء يوم القيامة. وبتوضيح آخر، ما معنى أن يطلب منها أن تخبر تلاميذه بأمر سوف يحدث بعد أربعين يوماً إن كان يقصد أن صعوده سوف يكون بعد أربعين يوماً، في حين أنه سوف يقابلهم في نفس مساء يوم القيامة؟!

أمَّا السَّبب في أنَّ الرَّب أراد أن يُخبر تلاميذه عن طريق المجدليَّة بذلك الصُّعود «قولي لهم إني **أصعد** إلى أبي وأبيكم ... إلخ» (يوحنَّا ٢٠:١٧)، فهو لكي يذكِّرهم بما سبق أن قاله لهم في ليلة العشاء الأخير: «سمعتم أني قلتُ لكم: أنا أذهب ثمَّ آتي إليكم (يوحنَّا ١٤:٢٨). لو كنتم تحبُّونني لكنتم تفرحون لأني قلتُ أمضي إلى الآب ...» (يوحنَّا ١٤:٢٨). فتعبير «أذهب ثمَّ آتي إليكم» معناه: 'أذهب إلى الآب'، أي أمضي أو أصعد إليه. وأمَّا قوله: 'ثمَّ آتي إليكم' لا يقصد به مجيئه الثَّاني في نهاية الدُّهور، لأنه يتكلَّم معهم أنه سيأتي إليهم هُم بعد ذهابه إلى الآب، وأنهم سيفرحون عندما يرونه. وهو ما حدث بالفعل في مساء يوم القيامة (لوقا ٢٤:٣٦-٤١).

ننتقل إلى نقطة أُخرى. فالرَّب حين تقابل مع المجدليَّة للمرة الأولى وكان الظَّلام لا يزال باقياً، قال لها: «لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد» (يوحنَّا ٢٠:١٧) ولكن في زيارتها للقبر المقدَّس للمرة الثَّانية مع مريم الأُخرى (وهي أُم يعقوب ويوسي)، وكان النَّهار قد بدأ أن يلوح، «تقدمتا وأمسكتا بقدميه» (متى ٢٨:٩). فلماذا منع الرَّب مريم المجدليَّة من أن تلمسه بعد قيامته مباشرة، ثمَّ سمح لها بأن تلمسه في زيارتها الثَّانية للقبر؟ إنَّ الإجابة تكمُن في قول الرَّب نفسه لها: «لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد» (يوحنَّا ٢٠:١٧). أمَّا وقد صعد فعلاً للآب حين قال لها: «إني أصعد»، فصار يمكن للمجدليَّة أن تلمسه لأنَّه قد اكتمل خلاصها وخلاصنا، ونالت ونلنا جميعاً الطَّبيعة الجديدة التي تؤهِّلنا أن نلمس الرَّب، قائلين مع يوحنَّا البشير: «الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه، ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة» (١يوحنَّا ١:١) بل الذي أخذناه كلَّه فينا حين نتناول جسده المقدَّس ودمه الكريم على المذبح، وهو ما يستحيل أن يحدث قبل أن تتجدَّد طبيعتنا، ويكتمل خلاصنا، ونولد بنينَ لله.

هذا من جهة الكتاب المقدَّس. أمَّا من جهة ما يذكره آباء الكنيسة في هذا الأمر، فإنَّ ما لفت نظري أنهم حين يتكلَّمون عن أنَّ صعود المسيح إلى السَّماء كان في نفس يوم قيامته، يذكرون الأمر كأمر بديهي لا يحتاج إلى شرح. وأوَّل إشارة وثائقيَّة تصل إلينا عن هذا الأمر، وردت في إحدى كتابات الآباء الرَّسوليِّين[٣]، أي الآباء الذين عاشوا فيما بين القرن الأوَّل والقرن الثَّاني للميلاد، وكان لهم صلة بآبائنا الرُّسُل القدِّيسين، وتتلمذوا عليهم، وسمعوا تعاليمهم. أو الذين تتلمذوا على تلاميذ الرُّسُل، وسمعوا تعاليمهم المتناقَلة عنهم، وعاشوا في الفترة التي أعقبت مباشرة أولئك الذين دوَّنوا الأسفار المقدَّسة للعهد الجديد. ومن بين هذه الكتابات، رسالة برنابا[٤] التي دونت حوالي سنة ١٣٠م. فيذكر كاتب رسالة برنابا نصًّا مهمًّا

٣- ''الآباء الرَّسوليُّون'' هي تسمية لم تكن معروفة في الأجيال المسيحيَّة الأولى، وإنما أُطلِقت لأوَّل مرَّة في أواخر القرن السَّابع عشر الميلادي، على يد الباحثين في سيَر الآباء ومؤلَّفاتهم. وهي تشمل حاليًّا تسع كتابات هي: ١- رسائل القدِّيس كليمندس الرُّوماني ٢- رسائل القدِّيس إغناطيوس الأنطاكي ٣- كتاب الرَّاعي لهرماس ٤- رسائل القدِّيس بوليكاربوس أُسقُف سميرنا ٥- رسالة برنابا ٦- بابياس ٧- الرِّسالة إلى ديوجنيتس ٨- الدِّيداخي التي اكتُشفت عام ١٨٧٣م ٩- أناشيد سُليمان السِّريانيَّة التي اكتُشفت عام ١٩٠٥م.

٤- شاع استعمال رسالة برنابا في العصور المسيحيَّة الأولى، واعتبرها البعض جزءاً من كُتُب العهد الجديد، وأدرجها المخطوط السِّينائي بعد سفر الرؤيا، بينما أحصاها آخرون - وأخصُّهم القدِّيس إيريناؤس - بين الكُتُب غير القانونيَّة. ولقد وُجد نصُّ الرِّسالة في المخطوط الذي اكتشفه برانيُّوس عام ١٨٧٣م، وهو المخطوط الذي جذب انتباه العالم للدِّيداخي، أي ''تعليم الرُّسُل''.

وفي حين لا يذكر الكاتب اسمه في الرِّسالة، فقد نسبها التَّقليد الكنسي إلى برنابا، رفيق القدِّيس بولس الرَّسول. ولقد أشار إلى ذلك كلٌّ من

يؤكِّد فيه أنَّ يوم قيامة الرَّب، كان هو نفسه يوم صعوده إلى السَّماء، حيث يقول:
''نُعيِّد اليَوم الثَّامن بفرح، اليَوم الذي فيه قام المسيح من الأموات، وظهر، وصعد إلى السماء''(٩:١٥)[٥].

كما أنَّ للقدِّيس كيرلُّس الكبير (٤١٢-٤٤٤م) في كتابه *Glaphyra in Pentateuchum* — Τὰ Γλαφυρά ''جلافيرا في أسفار التَّوراة''[٦] قولاً مهماً أيضاً في هذا الأمر، في تفسيره لآيات من سفر العدد، يقول فيه:

[«فيردِّد الحزمة أمام الرَّب للرِّضا عنكم، في غد السَّبت يردِّدها الكاهن» (لاويِّين ١١:٢٣). لقد صار المسيح تقدمة للآب من أجلنا، بصفته باكورة الأرض على طقس الحزمة. إنه في ذاته يُعتبر سُنبلة واحدة، ولكنَّه من جهتنا ليس سنبُلة واحدة، ولكنَّه يُصعد ذاته كمثل حزمة، أي رابطة مكوَّنة من سنابل كثيرة. وفي ذلك رمز سرِّي نافعٌ لنا.

فإنَّ يسوع المسيح واحدٌ هو، ولكنَّه كمثل الحزمة يُعتبر جامعاً للكثيرين في ذاته، وهو كذلك لأنه يقتني في ذاته جميع المؤمنين في اتحاد روحي. ولهذا السَّبب يكتب بولس الطُّوباوي أننا «أُقمنا معه وأُجلسنا معه في السَّماويَّات» (أفسس ٦:٢)، لأنه لَمَّا صار مثلنا، صرنا معه «شركاء في الجسد» (أفسس ٦:٣)، واغتنينا بالاتحاد به بواسطة جسده، ولذلك نقول إننا كلَّنا فيه، بل وهو نفسه يقول لله أبيه الذي في السَّموات: «كما أني واحدٌ معك أريدُ أنهم هُم أيضاً يكونون واحداً فينا» (راجع يوحنَّا ٢١:١٧)، وذلك لأنَّ الملتصق بالرَّب يكون روحاً واحداً معه (١كورنثوس ١٧:٦).

إذاً فهو حزمة بصفته يقتني الجميع في ذاته، ويرفع ذاته من أجل الجميع كباكورة للبشريَّة المكمَّلة في الإيمان، والتي صارت مستحقَّة أن تنال الكنوز العُليا السَّماويَّة.

إنه يقول: إنه يجب ترديد الحزمة في غد اليَوم الأوَّل (من الفطير)، أي في اليَوم الثَّالث (بعد ذبح الخروف)، لأنَّ المسيح قام من بين الأموات في اليَوم الثَّالث، وفيه أيضاً انطلق إلى السَّموات إلى المسكن الحقيقي وإلى قُدس الأقداس. فلما قام ربنا يسوع المسيح وأكمل ترديد نفسه كباكورة للبشريَّة أمام الآب، حينئذ بالذَّات تمَّ تغيير أعماق كياننا إلى حياة جديدة][٧].

ونخلُص إلى القَول بخصوص هذه النُّقطة الأولى، أنه حين يتكلَّم الهوس الكبير الذي تُرتِّله الكنيسة في مستهل تسبحة نصف اللَّيل لعيد القيامة، في أربعة أرباع منه، عن صعود الرَّب إلى السَّماء في نفس احتفال الكنيسة بيوم قيامته، فهو يؤمِّن على إيمان الكنيسة كتابيًّا وآبائيًّا.

العلاَّمة كليمندس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م)، والعلاَّمة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م). ويُظنُّ أن تاريخ كتابتها، هو نحو عام ١٣٠ميلاديَّة.
وترفض الدِّراسات النَّقديَّة الحديثة، نسبة الرِّسالة إلى رفيق القدِّيس بولس. لأنه من غير الممكن أن يكنَّ برنابا هذه العدائيَّة تجاه اليهود. ويرى البعض أنَّ كاتب الرِّسالة، هو أحد مُعلِّمي كنيسة الإسكندريَّة، وهو ما يفسِّر الاحترام الذي حظيت به الرِّسالة في التَّقليد الإسكندري، ذلك لأنَّ الانتشار الواسع الذي لقيته في مصر، إضافة إلى تأثُّرها بالفكر الإسكندري فلسفيًّا ولاهوتيًّا، يرجِّح أن تكون الإسكندريَّة هي مكان كتابتها.

٥- الآباء الرَّسوليُّون، عرَّبه عن اليونانيَّة المثلث الرَّحمات البطريرك إلياس الرَّابع معوَّض، الطَّبعة الثَّانية، منشورات النُّور، ١٩٨٢م، ص ٩٤، ٩٥

٦- الكلمة اليونانيَّة Γλαφυρά (جلافيرا) - وهي في صيغة المحايد الجمع - تعني: ''عميق - دقيق - مصقول - لامع - منمَّق''. وعلى ذلك يمكننا تسمية الكتاب في اللُّغة العربيَّة: ''اللاَّمع في أسفار التَّوراة''.
و''الجلافيرا'' كتعليقات لامعة أو منمَّقة، وصلتنا كاملة في ١٣ كتاباً. وهي تكمِّل الـ ١٧ كتاباً التي كتبها القدِّيس كيرلُّس الكبير عن موضوع ''السُّجود والعبادة بالرُّوح والحق''. وقد أشار كلٌّ منهما إلى الآخر.
وهذا الكتاب ''الجلافيرا'' يعتمد على فقرات مختارة من أسفار موسى الخمسة أيضاً، ولكن ق. كيرلُّس لم يكتبه في شكل حوار. وقد اختصَّت الكُتُب السَّبعة الأولى منه بتعليقات أو تفاسير على فقرات من سفر التَّكوين. وثلاثة كُتُب منها على سفر الخروج، وواحد لكلٍّ من أسفار اللاَّويِّين والعدد والتَّثنية.

7- *PG*., 69, 620-625.

والنَّص اليوناني التَّالي هو النَّص الأصلي لما تحته خط في الفقرة الأخيرة الواردة في المتن، وهي: ''لأنَّ المسيح قام ... وإلى قدس الأقداس''.
Ἀνεβίω γὰρ ἐκ νεκρῶν κατὰ τὴν τρίτην ἡμέραν, αὐτοῦ τε ἀναπεφοίτηκεν εἰς οὐρανὸν, εἰς τὴν σκηνὴν τὴν ἀληθινὴν, καὶ εἰς τὰ ἅγια τῶν ἁγίων.

(٢) ما هي العلاقة بين صعود الرَّب في يوم قيامته وصعوده بعد أربعين يوماً من القيامة؟

نعرف من رسالة العبرانيِّين أنَّ المسيح صعد مرَّة واحدة إلى السَّماء، وذلك في قول الرِّسالة: «دخل مرَّة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبديًّا» (عبرانيِّين ٦:٢٠ ؛ ٩:١٢)[٨]. فهل هذا الصُّعود الواحد هو ما تكلَّم عنه سفر أعمال الرُّسُل بعد أربعين يوماً من قيامته؟ وما هي علاقة صعود الرَّب إلى السَّماء يوم قيامته، بصعوده الذي ورد في الأناجيل وفي سفر أعمال الرُّسُل؟

النُّقطة المحوريَّة في هذا الموضوع كلِّه، هي أنَّ صعود المسيح إلى الآب ليس معناه أنه قد ترك الأرض، لأنَّ المسيح بعد أن قام من بين الأموات بجسد ممجَّد، صار جسده هذا يملأ الكنيسة كلَّها، أي يملأ السَّماء والأرض[٩]. وظلَّ لمدَّة أربعين يوماً بعد قيامته، يتراءى بظهورات عديدة لأخصَّائه الذين اختارهم ليكونوا شهوداً لقيامته، كما يقول سفر أعمال الرُّسُل: «وأَعطى أن يصير ظاهراً، ليس لجميع الشَّعب، بل لشهود سبق الله فانتخبهم» (أعمال ١٠:٤٠، ٤١)، حيث سمح لهم أن يروه ليتيقَّنوا أنه هو هو الذي مات وقام، برغم أنَّ جسده بعد القيامة قد صار ممجَّداً، ورؤيته لا تكون إلاَّ بحسب ما يسمح هو، وهو ما عرفناه بجلاء في لقائه مع تلميذي عمواس في مساء نفس يوم القيامة.

أمَّا معنى صعود المسيح في اليَوم الأربعين من قيامته، فهو أنَّ التَّلاميذ الذين رأوا جسده صاعداً إلى السَّماء في ذلك اليَوم، لن يروه بعد ذلك اليَوم رؤية العين البشريَّة. «إن كنَّا قد عرفنا المسيح حسب الجسد لكن الآن لا نعرفه بعد» (٢كورنثوس ٥:١٦). وهذا لا يعني أنَّ المسيح قد صار موجوداً في السَّماء، ولم يعد موجوداً على الأرض في ذات الوقت، بل يعني أن جسده الممجَّد الذي يملأ السَّماء والأرض، لم يعد بعد مرئيًّا بالعيان، بل بالإيمان.

إنَّ جسد المسيح على المذبح هو نفسه جسده الذَّاتي أو الخاص، لأنَّ المسيح لا يمكن أن ينقسم. وفي ذلك يقول البابا أثناسيوس الرَّسولي (٣٢٨-٣٧٣م):

[حينما نتناول نحن جميعاً منه هو بعينه، نصير جميعاً جسداً واحداً، لأنَّ الربَّ الواحد يكون فينا][١٠]

ويقول القدِّيس كيرلُّس الكبير (٤١٢-٤٤٤م):

[الابن الوحيد ... قد صار جسداً بحسب الكُتُب، ومزج نفسَه بنوعٍ ما بطبيعتنا، متَّحداً بهذا الجسد الأرضي اتحاداً لا يُنطَق به] (تفسير إنجيل يوحنَّا ١٧:٢٠، ٢١).

والدَّليل الواضح جدًّا على أنَّ الكائن على المذبح المقدَّس في الكنيسة وفي كلِّ كنيسة في كلِّ أرجاء الأرض هو المسيح نفسه بجسده الذاتي أو الخاص، هو ما نسمعه في كل قُدَّاس، حين يرفع الكاهن الجسد المقدَّس على يديه، ويقول الاعتراف الأخير: ''أعترفُ إلى النَّفَس الأخير، أنَّ هذا هو الجسد المحيي الذي أخذه ربُّنا وإلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح من سيِّدتنا كلِّنا والدة الإله القدِّيسة مريم، وجعله واحداً مع لاهوته ... وسلَّمه عنَّا على خشبة الصَّليب المقدَّسة بإرادته وحده عنَّا كلِّنا ... أؤمن أؤمن أؤمن أنَّ هذا هو بالحقيقة آمين''. هذا هو إيمان الكنيسة.

فكيف يكون جسد المسيح قائماً بيننا على المذبح إن كان صعوده يعني أنه صعد إلى السَّماء وبقي فيها؟

(٣) ما هو المضمون الإيماني والخلاصي الذي نجنيه من صعود المسيح إلى السَّماء؟

بادئ ذي بدء، يلزم أن نعرف ما هي غاية صعود المسيح إلى السَّماء؟ فالسيِّد المسيح بعد أن قام من بين الأموات، صعد

٨- وهو نفس ما ذكرتُهُ في المحاضرة الثَّانية السَّابق الإشارة إليها.

٩- هذه الجزئيَّة تحتاج إلى العودة لمحاضرة قلتها بعنوان: طبيعة جسد المسيح بعد القيامة.

١٠- ضدَّ الأريوسيِّين ٣:٢٢

إلى الآب وتراءى أمامه بعد أن تمَّم رسالته التي جاء بسببها إلى الأرض إذ قد أكمَلَ خلاصنا، حينما قدَّمنا فيه إلى الآب، فنلنا طبيعتنا الجديدة. ذلك لأنَّ صعود المسيح إلى السَّماء هو صعود لنا نحن أيضاً فيه، أي في المسيح. وما سبق ذكره في النُّقطة الأولى من كلام القدِّيس كيرلُّس الكبير عن الحزمة والباكورة، يشرح بما فيه الكفاية هذه الجزئيَّة الهامة.

ويقول البابا أثناسيوس الرَّسولي (٣٢٨-٣٧٣م):

[كما أننا بموت المسيح مُتنا جميعاً فيه، هكذا أيضاً في المسيح نفسه، نحن جميعاً نرتفع، إذ نقوم من الأموات ونصعد إلى السَّموات: «حيث دخل يسوع كسابق من أجلنا، ليس إلى أقداس شبه الحقيقيَّة، بل إلى السَّماء عينها، ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا» (عبرانيِّين ٦:٢٠ ؛ ٩:٢٤)] (ضدَّ الأريوسيِّين ١:٤١).

وهو نفس ما يقوله القدِّيس كيرلُّس الكبير (٤١٢-٤٤٤م) أيضاً في قول شهير له:

[إننا فيه ندخل إلى السَّماء، وفيه نظهر أمام الآب، وفيه أيضاً نتمجَّد ونُدعى أبناءَ الله][١١].

لقد قلتُ مراراً وتكراراً أنَّ كلَّ أفعال الخلاص التي أكملها المسيح من أجلنا، ليست أحداثاً تاريخيَّة وقعت في الماضي وطواها الزَّمان، بل هي أفعال وإن حدثت في مكان ما وزمان ما، إلاَّ أنها تدوم أبداً، فلا يعود يحصرها أيُّ مكان أو يحدُّها أيُّ زمان، لأنها أفعال إلهيَّة. فميلاد المسيح وعماده وموته بالصَّليب وقيامته وصعوده وجلوسه عن يمين الآب وحلول الرُّوح القُدُس على الكنيسة، كلُّها أفعال خلاصيَّة حدثت في الزَّمن مرَّة واحدة، ولكنَّها مستمرة دائمة أبداً بديمومة الله نفسه، لأنها أفعال إلهيَّة.

أمَّا بخصوص الصُّعود فيقول القدِّيس يوحنَّا البشير في إنجيله: «ليس أحد صعد ἀναβέβηκεν إلى السَّماء، إلاَّ الذي نزل καταβάς من السَّماء، ابنُ الإنسان الذي هو في السَّماء» (يوحنَّا ٣:١٣). فكلمة «صعد» ἀναβέβηκεν تأتي هنا في المضارع التَّام الذي يفيد الحدوث المكتمل والمستمر إلى الآن (present perfect). بمعنى أنَّ الابن يحمل مجد الصُّعود في ذاته. أي أنَّ فعل ''الصعود'' تمَّ مرَّة واحدة، كقول رسالة العبرانيِّين: «دخل مرَّة واحدة إلى الأقداس، فوجد فداءً أبديًّا» (عبرانيِّين ٩:١٢)، وظلَّ في ذات الوقت مستمرًّا.

وجدير بالذِّكر هنا، أنَّ هناك رباط وثيق بين منح الرُّوح القُدُس للكنيسة، وبين صعود المسيح وجلوسه عن يمين الآب. فالرُّوح القُدُس لا يُمنح للكنيسة إلاَّ بعد اكتمال فدائها، بترائي الابن أمام الآب لأجلنا كما سبق أن ذكرتُ. ومن أجل ذلك، فلم يكن ممكناً للمسيح أن يمنح الرُّوح القُدُس للرُّسُل في مساء يوم القيامة عندما نفخ في وجوههم وقال لهم: «اقبلوا الرُّوح القُدُس» (يوحنَّا ٢٠:٢٢) قبل أن يتمِّم فعل خلاصنا ويتراءى أمام الآب من أجلنا.

ومن جهة أُخرى، فإنَّ منح الرُّوح القُدُس للكنيسة لا يكون إلاَّ مرَّة واحدة كما سبق أن ذكرتُ، فإن كان المسيح قد منح الرُّوح القُدُس للرُّسُل بكونهم باكورة الكنيسة، في مساء يوم القيامة، فما هو معنى حلول الرُّوح القُدُس على المجتمعين في العِلِيَّة في اليَوم الخمسين من قيامة الرَّب؟ يجيب القدِّيس كيرلُّس الكبير على ذلك الأمر، فاسمعه ماذا يقول.

يقول القدِّيس كيرلُّس الكبير (٤١٢-٤٤٤م) عن النَّفخة التي نفخها الرَّب في التَّلاميذ في مساء يوم القيامة:

[إنَّ مُخلِّصنا أَعطى الرُّوح بواسطة العلامة الظَّاهرة وهي ''نفخته'' للتَّلاميذ القدِّيسين، باعتبارهم باكورة الطبيعة البشريَّة المجدَّدة. وكما كَتَبَ موسى عن الخلق الأوَّل أنَّ الله نفخ في أنف الإنسان نسمة الحياة، يحدُث نفس الشَّيء الذي حدث في البدء، عندما يجدِّد الله الإنسان، وهو ما يسجِّله يوحنَّا هنا. وكما خُلق الإنسان في البدء على صورة خالقه، كذلك الآن بالاشتراك في الرُّوح القُدُس، يتغيَّر إلى صورة خالقه ويُصبح على مثاله ...].

١١- الكنز في الثَّالوث ٢٠ - *PG.*, 75: 329

وأمَّا عن الفرق بين نفخة الرَّب في التَّلاميذ في مساء يوم القيامة لقبول الرُّوح القُدُس، وبين حلول الرُّوح القُدُس على الجميع في عليَّة صهيون في يوم الخمسين، فيجيب القدِّيس كيرلُّس الكبير (٤١٢-٤٤٤م) عن هذا الفرق ويقول:

[... ولكن في أيام عيد الخمسين المقدَّس، فقد أعلن الله علانية نعمته وأظهر مجيء الرُّوح القُدُس للكُل وليس للتَّلاميذ فقط ... و لم يكن هذا بالنِّسبة للتَّلاميذ بداية نعمة الرُّوح القُدُس الذي سكن في قلوبهم، ولكن بداية نعمة التَّكلُّم بالألسنة ... وهذا يعني بداية التَّكلُّم بالألسنة، وليس بداية التَّقديس ... أي بداية عمل الرُّوح القُدُس الذي فيهم] (تفسير إنجيل يوحنَّا ٢٠:٢٢-٢٣).

واضحٌ تماماً الفرق بين منح الرُّوح القُدُس للكنيسة في مساء يوم القيامة، وحلوله عليها في يوم الخمسين. فالحالة الأولى تعني بداية تقديس الكنيسة باعتبار التَّلاميذ باكورة الطَّبيعة البشريَّة المجدَّدة. أمَّا الحالة الثَّانية فهي بدء عمل الرُّوح القُدُس في الكنيسة. والكنيسة تحتفل بحلول الرُّوح القُدُس في يوم الخمسين، برغم أنَّ حلوله الواحد والدَّائم لتقديس الكنيسة كان منذ يوم القيامة المقدَّسة. وهو نفس ما تفعله الكنيسة في احتفالها بصعود المسيح له المجد بعد أربعين يوماً من قيامته، برغم أنَّ صعوده الواحد يملأ الكنيسة كلَّها منذ يوم قيامته المقدَّسة.